جليل رشيد فالح

# الجملة الخبرية

## ودلالاتها البلاغية

### عند الكلاميين

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

**توطئة :**

كانت الدراسات البلاغية من لدن الجاحظ الى عبدالقاهر قائمة على اساس يعتمد الذوق والتحليل الادبي للكشف عن خصائص النص فنياً وجمالياً ، وكانت صلة البلاغة بالنص مباشرة ، توضح معالمه وتشير الى مواطن الجمال والقبح فيه دون ان يكون للمقاييس المنطقية والكلامية تأثير في ذلك .

فالبلاغي ناقد مشخص ، وليس باحثاً فلسفياً او كلامياً ، ولعل من الغريب ان نشير الى أن المعتزلة الذين كان لهم القدح المعلى في تطوير الدراسات البلاغية قد اعتمدوا المنهج الادبي الفني في نقاشهم وحجاجهم .

فكانت آراؤهم في البلاغة واساليب الكلام غاية في الدقة الفنية ، ولعل بشر بن المعتمر ( ... — ٢١٠هـ) في صحيفته قد ارسى قواعد النقد البلاغي على نحو لاتجد فيه اي ملمح من ملامح اتجاهه الفكري والفلسفي . (١)

كما ان الجاحظ نفسه وهو على رأس فرقة من فرق الاعتزال ، كان اديباً قبل أن يكون مفكراً له منهجه في الفلسفة والكلام .

وعبدالقاهر الجرجاني كان اشعرياً . ولكنه في تصديه لمباحث البلاغة قد باعد بين منهجه في هذا المضمار وبين نزعته الفكرية .

كل اولئك كانوا يصدرون في مباحثهم البلاغية عن نظرة واقعية سديدة لطبيعة الدرس البلاغي واهدافه . ومن هنا جانبوا التقنين والتقعيد الصارم الذي يضيق على الاديب المبدع مجال الابداع في فنه ، ويشده الى قواعد ورسوم صارمة محدودة المجالات بالمفاهيم الفكرية والفلسفية ، مرتبطة بالتفكير المنطقي الذي يرى الاشياء محدودة بحدود ، وهذه الرؤية تنافي رؤية الاديب البليغ حين يستوعب ابعاد تجربته ، فينطلق انطلاقه لاحدود لها في آفاق الوجود يستجلي فيها صوره ، ويرسم في نصه ملامح رؤاه الخاصة .

---

(١) صحيفة بشر بن المعتمر في البيان والتبيين ـ للجاحظ ١/١٣٥ )

وحين يعود الباحث الى مناهج الكلاميين في الدرس البلاغي يجد نفسه امام قواعد وقوانين فيها من الصرامة ما تضيق بها آفاق الاديب المبدع . مما يجعله يشيح بوجهه عنها . (١)

ومن هنا ينبغي التنبه الى أن مقتضيات الضرورة الحضارية المعاصرة تدعونا الى اعادة النظر في هذه المناهج التي تحول دون الابداع ودون التذوق ودون التأمل

ومن مباحث البلاغيين من اصحاب المدرسة الكلامية الجملة الخبرية والانشائية وما تفرع منها من قضايا قائمة على تصور معين لايستقيم امام مقاييس النقد التي تتعامل مع النص من زاوية فنية ادبية مع تعاملها مع الجوانب الاخرى من فكرية ووجدانية .

ولقد كان هدف هذا البحث دراسة الجملة الخبرية ودلالاتها عند اصحاب المناهج الكلامية من البلاغيين . لانهم اعتمدوا من اسس البحث البلاغي ما يلائم نظراتهم ومقاييسهم ، وسلكوا سبيل التعسف حين باعدوا بين البلاغة وبين المنهج النقدي والادبي الذي ينبغي ان يكون على اوثق صلة بالبلاغة . وطبيعة البحث اقتضت ان ابدأ بالتعرض للجملة الانشائية عند هؤلاء البلاغيين لانها قسيمة الجملة الخبرية ، ولم اجد مناصاً من الوقوف عند هذا الجانب استكمالا لمتطلبات البحث ، ثم افضي الى الحديث عن اغراض الجملة الخبرية واضربها ، والبحث يمثل عامة وجهة نظر قد تسهم مع وجهات النظر الاخرى في اعادة النظر في مناهج دراساتنا البلاغية التي اصبحت مبعثاً للتذمر والملل عند الدارسين والباحثين فضلا عن عجزها في الاسهام في خلق بلاغة عصرية تستوعب النهضة الادبية والنقدية والاسلوبية الشاملة الابعاد .

---

(١) للوقوف على مميزات المدرسة الكلامية ينظر : فن القول لأمين الخولي ٨٦ ، ومناهج تجديد في النحو و البلاغه والتفسير والادب لامين الخولي ١٥٩ ، و دروس في البلاغة العربية وتطورها للدكتور جميل سعيد ٧٦ ، و البلاغة عند السكاكي للدكتور احمد مطلوب ١٠٣ .

**الخبر والانشاء :**

قسم البلاغيون الكلام إلى قسمين : خبر وانشاء ، فجعلوا ماكان لنسبته خارج تطابقه او لاتطابقه ، والا فهو انشاء . (١)

ثم جعلوا لكلا النوعين دلالة محددة ، وهي احتمال الخبر التصديق والتكذيب لذاته ، وعدم احتمال الانشاء لذلك ، ثم فصلوا القول في تحديد مدلول الصدق والكذب فيما يتصل بالجملة الخبرية على صورة اخرجت الموضوع عن اطاره البلاغي إلى مماحكات عقلية محدودة الآفاق بالنسبة لدلالات الجمل عامة ، حتى اوغل بعضهم في تقسيم الخبر إلى صادق وكاذب وغير صادق وكاذب يقول صاحب الايضاح : « وانكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين ، وزعم انه ثلاثة اقسام : صادق وكاذب ، وغير صادق ولاكاذب ، لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد الخبر اوعدمه واما غير مطابق مع الاعتقاد او عدمه » (٢)

واختلاف هذه الآراء لم يؤثر في جوهر المدلول الذي تم به تحديد مفهوم الخبر والانشاء . وهو احتمال الاول للتصديق والتكذيب كائنا ماكان اعتقاد المخبر او السامع ، وعدم احتمال الثاني للتصديق والتكذيب .

ولئن كان مقياس التصديق والتكذيب من السمات الاساسية عند البلاغيين الكلاميين للتدليل على خبرية الجملة ،فان هذا المقياس ليس مطرداً في كل كل جملة خبرية ، كما انه لايمثل الهدف المباشر لالقاء الخبر ، فاذا سمعت إلى الشاعر يقول :

واني لقوال لذي البث مرحباً ... واهلا اذا ماجاء من غير مرصد
واني لحلو تعتريني مرارة ... واني لتراك لما لم أعـــود

فانه لايسعك ان تصف كلامه بالصدق او الكذب ، لأنه ليس بصدد نقل مضمون على سبيل الاخبار المحض ، لكي نقف منه موقف المترصد

(٣) التلخيص ٣٨ .
(٢) الايضاح ١٤-١٥ .

لصدقه أو كذبه ، ولا سيما في قوله : « واني لحلو تعتريني مرارة » إذ كيف يسوغ لك أن تجابهه بقولك : انك صادق أو انك كاذب .

إن من دأب البلغاء أن يتجاوزوا في صوغ نصوصهم حدود الواقع الضيق إلى آفاق خيالية رحيبة تنعدم فيها المقاييس الصارمة.

فإذا سمعنا إلى شاعر آخر يقول :

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو . واما وجهه فجميل

فهل يسعنا أن نصمه بالكذب قائلين له : وهل ذقت طعم المعروف ؟

وهل تسنى لك أن ترى وجهه ؟

إن النقد لايتعامل مع الشاعر بالحساب الرياضي المحكوم بمقاييس جافية.

ولقد أشار الباحثون قديماً إلى أن الحديث في هذه القضية مما أفاض به المناطقة واسهبوا في شرحها :

يقول ابن وهب صاحب البرهان : « وقددللنا على جمل مما يعرف به الصدق في ذلك من الكذب ، ولم نستقصها لئلا يطول الكتاب بها ، وهي في كتب المنطقيين مشروحة ، فمن اراد علمها فليطلبها هنالك إن شاء الله » (١).

واشار عبد القاهر الجرجاني إلى ضآلة الاختلاف بين الخبر والانشاء ، وذلك في قوله :

« واعلم ان معك دستوراً لك فيه — إن تأمات — غنى عن كل ماسواه ، وهو أنه لايجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى ، لايكون له ذلك المعنى في الخبر وذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك . فإن كان كذلك كان محالاً أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : قام ! غيره إذا قلت :

---

(١) البرهان في وجوه البيان ١١٣ .

اقام زيد ؟ ثم لايكون هذا الافتراق في الخبر ، ويكون قولك : ( زيد قام ) و ( قام زيد) سواء (١) ونلاحظ عند التفتازاني -- وهو من شراح التلخيص ما يشير الى رفضه لفكرة تقسيم الكلام الى خبر وانشاء ، ويعلل ذلك بقوله: « لأن البحث في علم المعاني انما هو عن احوال اللفظ الموصوف بكونه مسنداً اليه او مسنداً » (٢) وهو يقصد بهذه الاحوال ما يلجأ اليه المنشيء من تقديم او تأخير ، او حذف وذكر ، او ايجاز واطناب ومساواة ، او تقييد او اطلاق ، ولكل تلك احوال تعتري الجملة بوصفها مسنداً ومسنداً اليه .

والسبكي ايضاً — وهو من شراح التلخيص — يقول بهذا الصدد : « وانما قدم الخبر لأنه اكثر بحثاً ، ولأن كثيراً من الانشاء فرع من الخبر ، كالجملة التي يدخل عليها ليت ولعل والاستفهام » (٣)

ولعبد الواحد الزملكاني اشارات الى تداخل الخبر والانشاء ودلالة احدهما على الآخر ، حيث يقول : « ومما جاء في صورة الخبر وهو أمر في المعنى قوله تعالى : (تزرعون سبع سنين دأباً ) (٤) . المعنى : ازرعوا سبع سنين متواليات بدليل . ( فذروه في سنبله ) . . . .

ومما جاء نهياً وهو في صورة الخبر قوله تعالى : ( لاتظلمون ولاتظلمون) . (٥) او قد ظلموا وظلموا ، وكذا قوله تعالى : (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ( ٦) أي « لاتنفقوا الا ابتغاء وجه الله » (٧)

---

(١) دلائل الاعجاز ١٠٢ .
(٢) مختصر التفتازاني ١٩٢/١ .
(٣) عروس الافراح — من شروح التلخيص ١٧٢/١ .
(٤) يوسف ٤٧ .
(٥) البقرة ٢٧٩ .
(٦) البقرة ٢٧٢ .
(٧) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ٣٠٣ .

**اغراض الخبر** : تصور البلاغيون ان المتحدث يلقي بخبره الى السامع لافادته الحكم الذي تضمنه الخبر ، وسموا ذلك فائدة الخبر ، واما لا علامة انه — اي المتحدث — عالم بالخبر ، وسموا ذلك بلازم الفائدة . (١)

ويكادون يجمعون على هذا التقسيم الثنائي لاغراض الخبر ، مع أنهم يذهبون فيما بعد إلى ان الخبر قد يخرج إلى اغراض اخرى غير فائدته ولزوم فائدته .

يقول التفتازاني : « والا فالجملة الخبرية كثيراً ماتورد لأغراض اخر غير افادة الحكم ولازمه ، مثل التحسر والتحزن في قوله تعالى حكايه عن امرأة عمران ( رب اني وضعتها انثى) (٢) وما اشبه ذلك »

ولم يحمل البلاغيون انفسهم عناء الافاضه في بيان تلك الاغراض والاستشهاد لها ، وكأنهم عولوا في ادراكها وتحسس وجوهها على ذوق القارىء ونباهته من خلال اشارتهم : وما اشبه ذلك .(٣)

الا أنهم ذكروا الاغراض المجازية ووجوهها مع الاستشهاد لها في الموضوعات الانشائية كالاستفهام والأمر والنهي وذكر القزويني الاغراض التي يخرج اليها الاستفهام وهي :الاستبطاء والتعجب والتنبيه على الضلال والوعيد والتقرير والانكار والتهكم والتحقير والتهويل والاستبعاد والتوبيخ والتعجيب .

كما ذكر الاغراض التي يخرج اليها الأمر وهي : الاباحة والتهديد والتعجيز والتسخير والاهانة والتسوية والتمني والدعاء والاحتقار . (٤)

واستفاد المحدثون مما اشار اليه البلاغيون القدامى من وجود وجوه اخرى للخبر حين ذكروا بأفاضة في كتبهم تلك الوجوه المستفادة من الخبر كما استفادوا مما نص عليه البلاغيون من بيان وجوه الانشاء المجازي .

---

(١) الايضاح ١٧ .
(٢) آل عمران ٣٦ .
(٣) مختصر التفتازاني ١/١٩٣ .
(٤) الايضاح ١٣٧-١٤٧ .

ومما ذكره أحمد الهاشمي في «جواهر البلاغة» من الاغراض المجازية للخبر: الاسترحام والاستعطاف، وتحريك الهمة . واظهار الضعف، واظهار التحسر، واظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر، والتوبيخ، والتحذير، والفخر، والمدح .(١٧)

وأورد كذلك الدكتور درويش الجندي من تلك الاغراض . الاسترحام والاستعطاف . واظهار الضعف، وتحريك الهمة، واظهار التحسر . والفخر، والمدح، والتوبيخ، والتحذير .(١٨)

**المخاطب ومقتضى الحال:**

ان حصر البلاغيين الخبر في ذينك الغرضين يضيق الخناق على المتحدث فيضطره إلى ان يضع في حسبانه المخاطب ليتوجه إلى ارضائه، وجعلوا المخاطب وحده الهدف الذي يقصد، ولذلك الزموا المتحدث ان تأتي عباراته في صيغ تراعى بها مقتضيات احوال المخاطبين، منطلقين في ذلك من التصور الخاص لمدلول التعريف الذي وضعوه للبلاغة حين قالوا : «واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته» .(١٩)

وللتعريف الذي وضعوه لعلم المعاني، كما في قول السكاكي:

«علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة . وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» .(٢٠)

وكما عرفه القزويني بقوله:

«وهو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال» . (٢١)

---

(١٧) جواهر البلاغة ٥٥

(١٨) علم المعاني ٣١-٣٢ .

(١٩) الايضاح ٩

(٢٠) مفتاح العلوم ٨٦ ، الايضاح ١٢ .

(٢١) الايضاح ١٢ .

ومن خلال تقسيمهم لأغراض الخبر واضربه ـ كما سنرى ـ نحس باهتمامهم بالمخاطب اهتماماً كبيراً يجعله محور الكلام وهدفه . وهم ـ وان لم يصرحوا بذلك ـ فان عدم توضيحهم لمقتضى الحال امر يدعونا الى ذلك الاحساس ، مع ان للقزويني اشارة خاطفة الى ذلك نتذرع بها لتقرير ماذهبنا اليه : يقول القزويني : « واذا كان غرض المخبر بخبره افادة المخاطب احد الأمرين ، فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة » (٢٢)

ولمقتضى الحال دلالات اوسع مما تصوره البلاغيون ، وحال المخاطب جزء من هذه الدلالات او واحدة منها ، وليس كلها . ان المتفق عليه عند النقاد ان العمل الادبي هو نتاج الاديب الذي يمتلك من القدرات والخصائص الفذة مالا يملكه غيره ، فهو ينطلق في صوغ نتاجه من رؤيته الخاصة استجابة لدواعي تجربته الشعورية ، واذا كان للمخاطب نصيب من عمله الادبي ، فان هذا النصيب ضئيل غاية الضآلة . ثم ان المخاطب في العمل الادبي لايكون فرداً بعينه او مجموعة محدودة ، بل قد يكون موقفاً او جمهوراً او رموزاً لشخوص واقعية او خيالية ، او هو الاديب ذاته على سبيل التجريد . يقول الدكتور علي عزت :

« ذلك ان كل اديب يتناول الاغراض التي يكتب فيها من رؤية معينة ، مستعيناً في التعبير عنها بوسائل اسلوبية مميزة ، وغالباً مايمكن ايجاد علاقة ثابتة بين بعض هذه الوسائل وبين غرض معين من هذه الاغراض ، بمعنى انه قد يستخدم ملامح لفظية ونحوية وصوتية معينة في التعبير عن موضوع من الموضوعات » (٢٣)

ومقتض الحال ركيزة من ركائز التعبير البلاغي ، وهو لايحدد بقيود ضيقة ، وانما له مدلول اوسع مما رسمه البلاغيون كما اسلفت ، فهو يعني كل الظروف والملابسات التي تلم بالنص الأدبي سواء كان ذلك متصلا بالمتحدث او المخاطب او البيئة او المناسبة .

---

(٢٢) الايضاح ١٨ .

(٢٣) اللغة والدلالة في الشعر ٩

وشراح التلخيص لم يزيدوا في حديثهم عن مقتضى الحال على ما اورده القزويني صاحب التلخيص والايضاح ، الا ان الدسوقي (٢٤) في حاشيته على مختصر السعد التفتازاني يلمح الى سعة ماتدل عليه مراعاة مقتضى الحال دون اختصاصها بالمخاطبين .

يقول : « قوله مطابقته لمقتضى الحال اي في الجملة ، اي مطابقته لأي مقتضى من المقتضيات التي يقتضيها الحال ، لا المطابقة التامة ، وهي مطابقته لسائر المقتضيات ، اذ لايشترط ذلك ... ) (٢٥) .

ويقول عبد الكريم الخطيب : « ان مقتضى الحال ليس مقتضى حال واحدة ، ولكنه في الواقع مقتضى احوال كثيرة ، فأي امر تلقاه بحواسك او مشاعرك وتريد ان تصوره كلاماً ، يقتضيك — لكي تجيء به على وجهه كاملا — ان تلحظ فيما لحظت منه جميع مقتضيات احواله وظروفه ... والمتحدث تشتمل عليه احوال نفسية وعقلية ووجدانية ، وهي عوالم لا حدود لها » (٢٦)

ويقول أحمد حسن الزيات فيما يتصل بطبيعة مقتضيات الاحوال : « ليست الاحوال المعروضة أو المفروضة الا انفعالات العواطف في النفس ، أو اتجاهات الخواطر في الذهن ، وليست مقتضياتها الا الصور البلاغية المناسبة التي يهتدي اليها البليغ بطبعه أو فنه ، فيؤثر بها في هذه العواطف أو تلك الخواطر التأثير الذي يريد » (٢٧).

ولعل من مقتضيات الضرورة أن نشير إلى أن مراعاة مقتضى الحال قضية فنية جمالية أكثر مما هي قضية معنوية هدفها ايصال المعاني إلى الأذهان ، أو

---

(٢٤) الدسوقي (٠٠٠-٢٣٠ هـ) هو محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي المالكي من علماء العربية، من اهل دسوق بمصر، له حاشية على مختصر السعد التفتازاني والاعلام ٦/٢٤١ .

(٢٥) حاشية الدسوقي — في شروح التلخيص ١/١٢٢ .

(٢٦) اعجاز القرآن — الكتاب الثاني ٢٩١-٢٩٢ .

(٢٧) دفاع عن البلاغة ٢٣ .

مخاطبة السامع على نحو معين ، ذلك أن هذه المراعاة يراد بها ـ كما يقول السكاكي ـ «تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها» (٢٨)

لذلك فان للتراكيب خواص هي مدار التعبير وهدفه وليس الهدف اداء المعاني وافهام المقاصد ، والا فقد تساوى الأديب وغير الأديب في مضمار الفن الكلامي ، ومن هنا فان براعة الأديب المنشيء تقاس بمقدار قدرته على استيعاب هذه الوجوه الخاصة أو اللمحات الدقيقة المتوارية وراء الالفاظ والتراكيب ومن هنا أيضاً كان للجاحظ ومن جرى في مضماره كأبي هلال العسكري(٢٩) فضل عناية باللفظ واكبار للاسلوب والصياغة أكثر من المعاني ، فهي في عرفهم : «مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي . وإنما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء . وجودة السبك » (٣٠)

والبلاغيون انما عبروا عن مستلزمات اللفظ والمعنى في العمل الأدبي بأساليب مختلفة . ويكاد اجماعهم ينعقد على التلازم بين اللفظ والمعنى .

يقول العتابي : « الالفاظ أجساد ، والمعاني ارواح وانما نراها بعيون القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخراً ، أو اخرت منها مقدماً افسدت الصورة وغيرت المعنى » (٣١)

ويقول ابن رشيق في العمدة :

« اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته » (٣٢)

وعبدالقاهر الجرجاني ـ وان بدا لنا من انصار المعنى ـ نجده لايعني بالمعنى

---

(٢٨) مفتاح العلوم ٢٢٠ ، الايضاح ١٢

(٢٩) انظر كتاب الصناعتين ٥٨ .

(٣٠) الحيوان ١/١٣١-١٣٢

(٣١) كتاب الصناعتين ١٦١ .

(٣٢) العمدة ١/١٢٤ .

الفكرة المتحدث عنها ، بل يعني به دلالات التراكيب الخاصة ، أي الخصوصيات التي تستفاد من التراكيب وفق مقتضى الاحوال وهذا الاتجاه لايبعد كثيرا عما دعا اليه الجاحظ ومن سار على نهجه .

ولعل قصد الجرجاني يتضح اكثر بل يقرب من منهج الجاحظ ، وذلك في قوله : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار » (٣٣) .

ويوضح الدكتور درويش الجندي هذه القضية وعلاقتها بما عرف بنظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني :

«ان المعنى الذي جعله عبدالقاهر محوراً للنظم هو المعنى الصوري ، أو المعنى المصور ، فالمعنى الذي هو الكلام عنده والذي تنسب اليه مزية النظم ليس هو المعنى الغفل الخام ، وانما هو المعنى الذي تشكل في النفس بشكل خاص ، ونظم فيه نظماً خاصاً ، هو صورة المعنى لا المعنى مجرداً من الصورة ، ومن شأن المعاني ان تختلف عليها الصور ، ويحدث فيها خواص ومزايا من بعد ان لا تكون » (٣٤) .

كل ذلك يقفنا على طبيعة ولادة العمل الادبي بعد ان يتكيف في اعماق الأديب على صورة متكاملة تنبىء عن ذات الاديب ، وفي نمط من التعبير والصياغة يعكس قدرة الاديب الفنية واجادته في التعبير ، وتلك صفات يتميز بها اديب عن آخر ، وهي مناط التفاوت عند الأدباء .

**أضرب الخبر بحسب المخاطب :**

وحين يصل بنا البحث الى دراسة الجملة الخبرية وأضربها بحسب المخاطب يحسن بنا ان نشير الى ان البلاغيين اصحاب المناهج الكلامية لم يستوعبوا ابعاد طبيعة العمل الأدبي من حيث هو فن ، وهذا مايظهر في مباحثهم عن

(٣٣) دلائل الاعجاز ١٧٥ ، الايضاح ١٠ .
(٣٤) نظرية عبد القاهر في النظم ٧٤ .

الجملة الخبرية وتقسيماتها المنطقية بحسب احوال المخاطبين ومقتضيات تلك الأحوال . والخلط الذي وقفوا فيه .

قسم البلاغيون اولئك الجملة الخبرية بحسب المخاطب الى ثلاثة انماط . الزموا الاديب المنشيء ان تأتي صيغ عباراته على مقتضاها ، وافترضوا كذلك ان الاديب يتجه الى المخاطب فيجعله هدفاً يسعى الى ارضائه او افهامه او اقناعه .

ان هذا التقسيم الذي افترضوه قائم على تصور المخاطب احد ثلاثة : خالي الذهن من الحكم ، ومتردد في قبوله ، ومنكر له ، وأهملوا تصور الشخص العالم بالخبر في حين انهم لم يغفلوه في تقسيم الخبر حسب الغرض الذي يلقى من اجله . يقول القزويني :

« واذا كان غرض المخبر بخبرة افادة المخاطب احد الامرين فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة ، فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الاخر ، والتردد فيه استغني عن مؤكدات الحكم ، كقولك : جاء زيد . وعمرو ذاهب ، فيتمكن في ذهنه لمصادفته اياه خالياً . وان كان متصور الطرفين متردداً في اسناد احدهما الى الاخر طالباً له حسن تقويته بمؤكد . كقولك : لزيد عارف ، او ان زيداً عارف ، وان كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الانكار ، فتقول : اني صادق لمن ينكر صدقك ، ولا يبالغ في انكاره ، واني لصادق لمن يبالغ في انكاره » (٣٥) وبعد ان يورد القزويني مثالا قرآنياً — سنورده فيما بعد — يدعم به ما ذهب اليه هو وبلاغيو هذه المدرسة ، ويذكر ايضاً جواب ابي العباس المبرد للكندي الفيلسوف عن قوله : اني اجد في كلام العرب حشوا (٣٦) ينتهي الى القول :

---

(٣٥) الايضاح ١٨ .

(٣٦) الايضاح ١٨-١٩ — للاطلاع على الآية وجواب المبرد للكندي .

« ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً ،والثاني طلبياً ، والثالث انكارياً ، واخراج الكلام على هذه الوجوه اخراجاً على مقتضى الظاهر » (٣٧) هذه الاحوال روعي بها المخاطب مراعاة توخت الدقة في التطبيق ، وفي ذلك الزام للمتكلم ان يعرف ابتداء ما عليه المخاطب من احوال : أهو خالي الذهن من الحكم ليسوق اليه الخبر خالياً من ادوات التوكيد ، ام هو متردد في قبوله ليؤكده له ، او انه منكر لما يلقيه اليه ليستعين بادوات التوكيد التي تتولى ازالة عنادة ، ورده عن الانكار الى التصديق ؟

ثم ماذا يكون موقف المتكلم ازاء العالم بالخبر كيف يصوغ له كلامه ؟ هذا ما ضرب عنه البلاغيون صفحاً . احسب ان المنشيء لايعنيه ان يعرف هذه الاحوال كلما ازمع ان ينشيء نصاً . ذلك انه ليس في كل الاحوال ينبغي ان يكون هنالك مخاطب بعينه لتصاغ له العبارة على مقتضى ما هو عليه .

كما اننا لانستطيع ان نعد المنكر والمتردد في كل احوالهما عالمين بالخبر ، فلربما يتلقى السامع الخبر لأول مرة فيتردد في قبوله او ينكره .

وهنا لايسع البلاغي الا ان يعد العالم بالخبر كخالي الذهن ليس له موقف محدد . وفي ذلك جمع النقيضين على صعيد واحد .

ويمكن ان يراعي المتحدث هذه الاحوال الثلاث اذا كان متجهاً فعلا إلى واحد بعينه او مجموعة بعينها يحدثهم بحديث خاص معلومة مستلزماته وظروفه ودوافعه واهدافه ، فلا بأس — والحالة هذه — ان تأتي صيغه مستوفية لكل تلك الملابسات والاحوال قدر ما يسعه الامر ؛ الا انه — مع ذلك — في حل من الالتزام الدقيق الذي يفرضه البلاغيون فرضاً لايخلو من صرامة في مراعاة مقتضيات الاحوال . فليس هناك تطابق بالمعنى الهندسي بين مقتضيات الاحوال وبين التركيب المعبر عنها .

فالآيات التي استشهد بها القزويني و في الايضاح (٣٨) ، وهي قوله تعالى :

(٣٧) الايضاح ١٩ .

(٣٨) الايضاح ١٨ .

« واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون ، اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما . فعززنا بثالث فقالوا : انا اليكم مرسلون ، قالوا : ماانتم الا بشر مثلنا . وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون » (٣٩)

انما تحدثت عن مخاطبين معروفة احوالهم في التردد والانكار ،قال القزويني في بيان صيغ الخبر المختلفة المسوقة في معرض التردد والانكار :

« حيث قال في المرة الاولى : انا اليكم مرسلون ، وفي الثانية : انا اليكم لمرسلون » (٤٠)

والمتأمل في هذه الآية يجد نفسه امام ظاهرتين :

احداهما : ان المخاطبين معلومة احوالهم . فجاءت الاجزاء التي اشار اليها القزويني موافقة لتلك الاحوال . ومتسقة مع الاجواء النفسية التي عرضتها الآية .

والثانية : ان الآية لم تسق العبارة في صياغتين مختلفتين للتدليل على وجود موقفين مختلفين ، فبمقتضى مقاييس البلاغيين يفترض ان يكون الموقف الاول دالا على التردد لان قوله تعالى : ( انا اليكم مرسلون ) يتضمن اداة واحدة للتوكيد ، مع ان الموقف موقف رفض وانكار وتكذيب بدليل قوله تعالى : فكذبوهما . فعززنا بثالث .

اما مجيء اللام في خبر ان في المقطع الاخير من الآية فان له دلالة الاهتمام بمعالجة الموقف دون الدلالة على تغيير شيء في الموقف نفسه فالانكار قائم في الحالتين . والتكذيب مستمر كذلك .

ويمكننا ان نستدل على مرونة الصيغ في مواجهة المواقف ان البلاغيين رأوا ان المتكلم يورد الخبر في مواجهة المتردد مؤكدا باداة واحدة استحساناً

---

(٣٩) سورة يس ١٣-١٦ .

(٤٠) الايضاح ١٨ .

لا الزاماً (٤١) ويلاحظ في ذلك وقوعهم في تناقض لم يحسبوا له حساباً

ومعنى ذلك ان التوكيد استجابة داخلية لدواعي الموقف وربما كان المتكلم غير عابىء بتردد المتردد او انكار المنكر ، وانما يلقي كلامه بقدر اهميته في نفسه وتحسسه لدواعيه .

**الجملة الخبرية ومراعاة ماوراء الظاهر :**

وهنا وقفت البلاغة لتعطي صورة اخرى من صور التعبير البلاغي التي يتجلى فيها الابداع ، وتكون مناط البراعة الفنية ، وقد سمى البلاغيون هذه الصور التعبيرية بمراعاة غير الظاهر ، او مراعاة ما وراء الظاهر ، او الخروج على خلاف مقتضى الظاهر .

يقول القزويني : « وكثيراً مايخرج على خلافه فينزل غير السائل منزلة السائل اذا قدم اليه مايلوح بحكم الخبر ، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب ، وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض » (٤٢) وكذلك ينزل غير المنكر منزلة المنكر اذا ظهر عليه شيء من امارات الانكار ... وكذلك ينزل المنكر منزلة غير المنكر اذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الانكار (٤٣) اليس في هذا دليل واضح على ان هناك حالات في المخاطبين لاتتضح بل هي تفترض فيهم ، فيأتي تصرف المتكلم وفق هذا التصور والافتراض

ولقد سبق لعبد القاهر ان فصل القول في هذا الجانب مبيناً ان اهمية الموضوع لذاته هي التي تستدعي ادوات تؤكده وتوثقه ، ففي حديثه عن (إن ) وما تضمنيه من حسن على العبارة اذا جاءت في الموضع المناسب يقول : « ولذلك تراها تزداد حسناً اذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه كقول ابي نواس :

---

(٤١) انظر الايضاح ١٨

(٤٢) الايضاح ١٩

(٤٣) الايضاح ٢٠

عـلـيك باليأس مـــن الناس ان غـنى نفسك فـي الـسيـاس
فقد ترى حسن موقعها وكيف قبول الناس لها ، وليس ذلك الا لأن الغالب على الناس انهم لا يحملون انفسهم على اليأس ولا يدعون الرجاء والطمع ، ولا يعترف كل احد ولا يسلم ان الغنى في اليأس » . (٤٤) .

ويتضح مذهب عبد القاهر بهذا الصدد في موضع آخر حيث يقول : « ومن لطيف مواقعها ان يدعي على المخاطب ظن لم يظنه ، ولكن يراد التهكم به ، وان يقال ان حالك والذي صنعت يقتضي ان تكون ظننت ذلك ، ومثال ذلك قول الأول :

جـاء شـقيق عـارضاً رمـحـه ان بني عـمك فيهم رماح » (٤٥)

وبهذا يظهر لنا جلياً ان تصور المنشيء لملابسات يفترضها فيما يعرض له من حديث هو الذي يملي صياغة عبارته على النمط الذي يتم به التساوق بين تصوره وبين اسلوبه المعبر عن ذلك التصور .

فحال المخاطب ليس هو الانكار . وانما لابست الموضوع امور تقتضي اعتباره منكراً ، ولم يكن الرد عليه بادوات التوكيد فحسب ، فان ادوات التوكيد بعض مقتضيات هذه الحال ، وانما تفهم السخرية والتهكم — وهما هدف المتكلم — من خروج الخبر ( ان بني عمك فيهم رماح ) من معناه الحقيقي الى المعنى المجازي ، وهذا الخروج هو الذي افاد التهكم الذي كان من نتائج تصور المخاطب منكراً . فلو ان الخبر سيق من غير ادوات التوكيد لكان معنى التهكم قائماً ومستفاداً من النص فالعبارة سيقت لمن لايجهل المضمون .

والقزويني نفسه جاء بالبيت نفسه في فصل مراعاة غير الظاهر مثلا لتنزيل غير المنكر منزلة المنكر اذا ظهر شيء من امارات الانكار .

---

(٤٤) دلائل الاعجاز ٢٢١

(٤٥) المصدر نفسه ٢٢١

ويعلق السبكي - من شراح التلخيص — على ما ذهب اليه القزويني بشأن هذا البيت ( جاء شقيق ...) فيقول :

« وفيما قال المصنف نظر ، لان هذا الخبر ليس فيه الا مؤكد واحد ، فمن اين لنا انه انكاري ، جاز ان يكون طلبياً ويكون من القسم السابق ، ويكون فيه هذا التأكيد الواحد استحسانياً لا واجباً » (٤٦)

ومع ان السبكي في تعليقه يسير في مضمار القزويني من اقرار ذلك التقسيم الثلاثي لاضرب الخبر الا انه يوضح لنا بأن الاختلاف في فهم دلالات الجمل امر وارد في ضوء الاختلاف في تصور الموقف من جانب المنشىء .

ويقودنا تعليق السبكي إلى جانب آخر يلفت الانظار وهو ان ايراد ادوات التوكيد في مواطن التردد والشك امر استحساني لا وجوبي ، وان كنا نقر بأن ايرادها ينبغي ان يكون وجوبياً اذا تحقق انكار المخاطب ، وكانت هذه الادوات موحية بان وراء الموضوع امرا ذا بال ينبغي التنبه اليه ، على ان التوكيد وحده لايحقق هذا التنبه ، كما اسلفت الاشارة اليه في تعليق على قول الشاعر : ( جاء شقيق عارضاً رمحه .... ) ولعل هذا الامر يتضح اكثر فيما ذهب اليه البلاغيون في باب مراعاة غير الظاهر حين ينزل المنكر منزلة غير المنكر فليس تنزيله هذه المنزلة لوضوح الموقف بل لان المنشىء غير عابيء به او غير متصور لانكار منكر البتة .

كما ان القزويني نفسه صرح بان ليس هناك وجه الزام بتوكيد الحكم للمتردد بل هو مستحسن ان يفعله ، وذلك في قوله :

« وان كان متصوراً لطرفين مترددا في اسناد احدهما إلى الآخر طالباً له حسن تقويته بمؤكد » (٤٧)

---

(٤٦) عروس الافراح ٢١٣/١

(٤٧) الايضاح ١٨

ثم تأمل القزويني وهو يعلل كيف ينزل المخاطب بقوله تعالى : ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون . « منزلة من يبالغ في انكار الموت لتماديهم في الغفلة والاعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل ( ميتون ) دون ( تموتون ) .... واكد اثبات البعث تأكيدا واحدا — وان كان مما ينكر لانه لما كانت ادلته ظاهرة كان جديرا بالاينكر . بل اما ان يعترف به او يتردد فيه . فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيهاً لهم على ظهور ادلته ، وحثاً على النظر فيها . ولهذا جاء ( تبعثون ) على الاصل » (٤٨) .

تجد في تعليله نظرا . ذلك انه لم يكن دقيقاً فيما ذهب اليه من ان ادلة البعث أظهر من ادلة الموت فكيف جاءت آية الموت بتأكيدين . وآية البعث بتأكيد واحد؟ فمن ينكر الموت ويغفل عن التهيؤ له فهو للبعث اشد انكارا ، بل الغافل عن الموت لايمر بباله ادنى تفكير بالبعث والحساب . فمجيء (ميتون) على صورة الاسم لقرب وقوعه ، وتعرض المرء له في اية ساعة اضافة الى دلالة اعمق في مجيئه على الاسمية وهي ان الغافلين هم اشبه بالاموات . فجاءت اللفظة معبرة عن حالهم على صورة تنساب بقوة الى اعماق النفوس .

اما ( تبعثون ) فان اللفظة جاءت على صورة الفعل لان البعث أمر يعقب الموت ، وهو آت على التراخي .

ولنعد الى بلاغي آخر من بلاغيي الاتجاه الكلامي وهو الدسوقي حين يعلق على قوله : اذا قدم اليه مايلوح له بحكم الخبر « قوله اذا قدم اليه ظرف ليجعل ، فيقتضى ان جعل غير السائل بمنزلة السائل مقيد بالتقديم المذكور ، مع انه قد ينزله منزلته لاغراض أخر كالاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً والتنبيه على غفلة السامع ». (٤٩)

---

(٤٨) الايضاح ٢١

(٤٩) حاشية الدسوقي ٢١٠/١

والدسوقي لم يهمل شأن السامع او المخاطب ، شأنه في ذلك شأن المدرسة التي ينهج نهجها ويصدر عن آرائها ، ولكنه لم يجعل جهد المنشيء موجهاً اليه بالذات ، بل جعل للخبر ذاته – وهو أمر يتصل بالمنشيء نفسه – اهمية يحسب لها حساب اكثر من الاهتمام بالمخاطب او السامع .

ويمضي الدسوقي في الكشف عن ملابسات التقسيم الثلاثي في عدم الاحاطة بجميع اصناف المخاطبين وعدم الدقة في معرفة شخوصهم حتى يرد الكلام على مقتضى احوالهم الواقعية او المتخيلة : « ... ان اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر قد يلتبس باخراجه على مقتضى الظاهر ، فلا تظهر الفائدة ، وذلك كجعل السائل كالخالي . لان ترك التأكيد للسائل جائز ولا يخل بالبلاغة ، فلا يعلم به تنزيله منزلة الخالي .... وكذا بعض صور اخراج الكلام على مقتضى الظاهر قد يلتبس ببعض ، كما في التأكيد مع السائل ، فانه يلتبس بالتأكيد مع المنكر ، اذ الوجوب والاستحسان لايفهمان من اللفظ ، وكذا بعض صور اخراجه على خلافه يلتبس ببعض ، كما في جعل الخالي بمنزلة السائل ، فانه يلتبس بجعله كالمنكر . فان كان هناك قرينة عمل بها ، والأصح الحمل على كل » (٥٠)

**نقد التقسيم الثلاثي :**

والتقسيم الثلاثي للجملة قائم على اساس ان مهمة الجملة الخبرية هي الاخبار والاعلام ، ومن هنا روعيت احوال المخاطبين الذين يلقى اليهم الخبر .

فالاخبار والاعلام من ادنى مهمات الجملة الخبرية ، ولو اقتصرت مهمتها على هذا الجانب لما شغل به الدرس البلاغي الذي يتوخى في التعبير البليغ ان يرتاد آفاقاً ابعد ، دون الوقوف عند الاذهان يملؤها بالمعلومات ، وهي آفاق نفسية وفنية وذوقية يراد لها ان تتأثر وتتجاوب مع ما تحتمل العبارة من مدلولات غير مدلولاتها الوضعية . وتلاحظ في الجملة جوانب اخرى

---

(٥٠) المصدر نفسه ٢١٠

هي التي تحدد المستوى الفني لها سمواً او انحطاطاً ، والبليغ ينبغي ان يحيط بهذه الجوانب لتكون اداته في رفد عباراته السمة الفنية المطلوبة ، والى ذلك اشار القزويني بقوله : « فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ،ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي » (٥١) .

وفي نص للتفتازاني ذكرته آنفاً ما يعبر عن المهمة البلاغية للجملة الخبرية اذ يقول :

« والا فالجملة الخبرية كثيراً ما تورد لاغراض أخر غير افادة الحكم او لازمه مثل التحسر والتحزن في قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران : ( رب اني وضعتها انثى ) وما اشبه ذلك » (٥٢) .

فليس بوسعنا ان نتساءل لم دخلت اداة التوكيد على الآية ، وما حال المخاطب بها أهو خالي الذهن ام متردد ام منكر .

ان ظاهر القاعدة التي ترجع اليها الظاهرة انها لخطاب المتردد . واذا عرف ان المخاطب هو الله تعالى انتفى القول بان المخاطب متردد في قبول الحكم ، فليس ذلك يجور على الله تعالى .

ولعل التفتازاني اقرب صلة بأبي هلال العسكري الذي رأى ان نتاج الاديب لايهدف إلى افهام المعاني فحسب ، فلو كان هذا هو الهدف لتساوت اقدار الجمل ، ولما رأيت لأديب ميزة على اديب .

يقول ابو هلال :

« ومن الدليل على ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ ان : الخطب الرائعة

---

(٥١) الايضاح ٩

(٥٢) مختصر التفتازاني ١/١٩٣ .

والاشعار الرائقة ما عملت لافهام المعاني فقط ، لان الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الافهام ، وانما يدل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق الفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه » (٥٣)

ان فن التعبير -- وان كان متجهاً إلى الاخرين بوصفه وسيلة إلى غاية انما يحمل سمات صاحبه وخلجاته النفسية ومواقفه الفكرية فنتاجه جزء من وجدانه او عقله ، وهو إلى جانب ذلك يختار الصيغة المناسبة التي بها يعبر عن نوازع الوجدان او ومضات الفكر .

فهو يرى نفسه في مرآة فنه اول الامر . ولا يرى الآخرين الا من خلال نفسه ، ويريد ان يكسبهم إلى جانبه ، ويمكن ان تكون ذاته هي الهدف اولا وآخراً . فيتناسى عالم الآخرين او ينساه .

« ان الفنون مستودع قيمنا المسجلة ، فهي تنبع من لحظات في حياة افراد غير عاديين ، وتخلد هذه اللحظات لحظات تبلغ فيها سيطرتهم على التجربة ذروتها ، وتبدو فيها امكانيات الوجود المتباينة بوضوح تام ، ويوفق فيها على نحو بديع بين ضروب النشاط المختلفة التي قد تنشأ في النفس » (٥٤) .

ان من عيوب المدرسة الكلامية في البلاغة هذا التقيين الصارم المتشعب للقواعد مما يجعل مترسمي هذه القواعد يقعون في ضيق وحرج ، عليهم ان يتحروا المخاطب فيتعرفوا إلى احواله ، ويستبطنوا دخيلته ليصوغوا النص على هواه .

ليس المخاطب هو المقصود بهيئة مخصوصة هو الطرف الثاني اطراداً بل قد يكون المخاطب هو المقصود . فعندئذ تراعى احواله وفق مقتضيات

---

(٥٣) كتاب الصناعتين ٥٨

(٥٤) مبادىء النقد الادبي ٧٢

ما ذهب اليه البلاغيون ، وان لم يكن كذلك فانه يرتسم في الذهن متصوراً له حال او احوال معينة ، فتصاغ التراكيب وفق هذا التصور ، اما اذا لم يكن ذا مقام في هذه العملية فان اهمية الموضوع وملابساته واتجاهه إلى مسارب النفس كل ذلك يحدد الصيغ غير متعسف المنشىء فيها او مدقق في جزئياتها وفق منظور هندسي .

« ان عملية الابداع الفني ليست في الواقع عملية مفاجئة بالنسبة للشاعر بل انه يكون مستعداً لها نفسياً وذهنياً بطريقة شعورية او لا شعورية . وان المادة التي يجري بها الالهام هي نتاج قراءاته القديمة وتأملاته والصور التي يتضمنها انتاجه لابد ان تكون مختزنة في ذاكرته » (٥٥)

ان توكيد الجمل ضرب من الخلجات الشعورية العنيفة او انعكاس لموقف اصرار او رغبة في ان يكون للمعنى صدى عميق في النفوس .
واذ ما قال الشاعر :

والله اني لاخـــو همـــة  تسموا إلى المجدِ ولا تفتر

فانه لم يرسم في ذهنه مخططاً لذلك المنكر الذي يتصدى له بانكاره حتى يتذرع بالوسائل التي تدفع انكاره . وانما توالت التوكيدات تعبيراً عن هذه الهمة العالية التي تسمو به .

ثم ان المعاني الأخر غير الاخبار والاعلام هي الاخرى تحدد صيغة النص توكيداً او عدم توكيد ، فبمقدار حرص الاديب على ان يتوجه إلى نفوس الآخرين ليؤثر في جنباتها تتحدد طبيعة التعبير .

وحسبنا لتوضيح القضية شاهدان من الشعر القديم نتحسس من خلالهما عدم اتساق قواعد البلاغيين وتقسيماتهم مع مضامين الشعر واسلوبه .

واذا ما قرأنا لحاتم الطائي بيتين يكاد يكون موضوعهما واحدا احدهما مؤكد باكثر من اداة ، والثاني خلو من ادوات التوكيد ، وهما قوله :

---

(٥٥) مقالات في النقد الادبي ٤٢

واني لعف الفقر مشترك الغنى ... وودُّك شكل لايوافقه شكلي
ولي نيقة في المجد والبذل لم تكن ... تأنقها فيما مضى احد قبلي (٥٦)

لابد لنا ان نتساءل عن الفرق بين دلالة البيت الأول ودلالة البيت الثاني، ولم اكد الاول دون الآخر ، مع عدم التفاوت بين مدلوليهما ، فلو اخذ الشاعر نفسه بشيء مما تصوره البلاغيون لكان أمره في البيتين سواء، ولو حمل البلاغيون انفسهم عناء مدارسة النصوص لرجعوا عن كثير قواعدهم التي لاتتسق مع مدلولات النصوص الفنية .

وحين يقف النابغة الذبياني موقفاً يتجلى فيه انكار المنكر واضحاً لالبس فيه ، انه موقف الاعتذار . والمعتذر اليه لايلين،لابد ان نتساءل ايضاً لم لم يلجأ الى اساليب التوكيد يلتمس بها اثبات براءة مما رمي ،وذلك في قوله :

اتاك امرؤ مستعلن لك بغضة ... له من عدو مثل ذلك شافع

والذي اذهب اليه ان الغرض الحجازي هو الذي يكشف عن طبيعة المضمون ويحدد — مع مستلزمات التعبير الاخرى — طبيعة الصياغة .

وينبغي ان نقرر مع ارسطو انه « على الشاعر ايضاً ان يسعى ليتمثل في نفسه قدر المستطاع مواقف اشخاصه وحركاتهم ، فأقدر الشعراء اولئك الذين يشاركون اشخاصهم مشاعرهم ، لما بينهم وبين الناس من مشابه . والحق ان اقدر الناس تعبيراً عن الشفاء من كان الشفاء في نفسه ، واقدرهم تعبيراً عن الغضب من استطاع ان يملأ بالغضب قلبه » (٥٨)

**خاتمة ومقترح :**

بعد هذه الافاضة في تحديد مدلولات الجملة الخبرية نوجز القول في غاية هذا البحث : وهي الغاء التقسيم الثلاثي للجملة الخبرية ، لأن شرائط

(٥٦) ديوان حاتم الطائي ٧٥ .
(٥٧) ديوان النابغة الذبياني ٥٠ .
(٥٨) فن الشعر ٤٨ .

هذا التقسيم لا تطرد للمنشيء الأديب على نسق واحد لايتغير . وينبغي ان يسبق ذلك الغاء تقسيم الكلام الى خبر وانشاء ، لان البلاغيين انفسهم عرضوا لانماط اسلوبية اخرى لاتدخل ضمى التقسيم كالفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة .

ثم ينظر الى الموضوع من حيث اهميته مع دراسة الحال المنشيء ، ثم مراعاة احوال المخاطبين بقدر مايتعلق الأمر بهم ، وصياغة الجمل والتراكيب على صورة تحقق متطلبات تلك الملابسات في آن واحد ، وعندئذ يمنح الاديب الصورة فاعليه تخلدها وتحفظ حيوتها ونصاعتها ، وتكشف عن الموهبة التي يتحلى بها المنشيء .

ولعلي انصف الدراسات البلاغية اذا دعوت الى الرجوع الى المؤلفات التي تمثل المدرسة الادبية في البلاغة كأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني والمثلى السائر لابن الاثير وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري وكتب اعجاز القرآن ، مع الأخذ بمعطيات النقد الحديث والدراسات النفسية والجمالية .

وبذلك نعيد للجملة العربية موقعها الصحيح المتساوق مع طبيعتها الفنية والجمالية، وبذلك ايضاً يحس الدرس البلاغي ان حياة جديدة بدأت تسري الى رحابة .

## مصادر البحث ومراجعه


١ ــ اعجاز القرآن ــ عبد الكريم الخطيب ــ الكتاب الثاني مطبعة دار الفكر العربي . ط١، ١٩٦٤ .

٢ ــ الايضاح في علوم البلاغة ــ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، تحقيق وتعليق لجنة من كلية اللغة العربية بالازهر . مطبعة السنة المحمدية .

٣ ــ البرهان في وجوه البيان ــ ابو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب . تحقيق د.١ احمد مطلوب ــ ود خديجة الحديثي ط١ ــ ١٩٦٧ .

٤ ــ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد ابن عبد الكريم الزملكاني ، تحقيق د. خديجة الحديثي ، و د. احمد مطلوب ــ مطبوعات رئاسة ديوان الاوقاف مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٤.

٥ ــ التلخيص في علوم البلاغة ــ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني شرح عبد الرحمن البرقوقي ط١ ــ ١٩٠٤.

٦ ــ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ــ السيد احمد الهاشمي ط١٢، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٠.

٧ ــ حاشية الدسوقي ــ في شروح التلخيص ، ج١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

٨ ــ الحيوان : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ــ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون ج٣ دار الكتاب العربي ــ بيروت ط٣ ، ١٩٦٩.

٩ ــ دفاع عن البلاغة ــ احمد حسن الزيات ــ القاهرة ١٩٤٥.

١٠ ــ دلائل الاعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ــ صححه وشرحه احمد مصطفى المراغي ط٢ ، نشر المكتبة المحمودية التجارية بمصر .

١١ – ديوان حاتم الطائي – دار بيروت ١٩٧٤
١٢ – ديوان النابغة الذبياني – صنعه ابن السكيت – تحقيق د. شكري فيصل – دار الفكر ١٩٦٨.
١٣ – عروس الافراح من شروح التلخيص – بهاء الدين السبكي جـ١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .
١٤ – علم المعاني . د. درويش الجندي – مطبعة نهضة مصر – القاهرة
١٥ – العمدة – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد جـ١ – ط٤ .
١٦ – فن الشعر – ارسطو طاليس – ترجمة د. عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٥٣.
١٧ – كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر – ابو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ط١ – دار احياء الكتب العربية ١٩٥٠ .
١٨ – اللغة والدلالة في الشعر – د. علي عزت – المكتبة الثقافية ٣٣٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .
١٩ – مبادىء النقد الادبي – إزأ – ريتشاردز – ترجمة وتقديم د. مصطفى بدوي – وزارة الثقافة والارشاد القومي المصري ١٩٦١.
٢٠ – مختصر السعد التفتازاني على التلخيص – من شروح التلخيص – جـ١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .
٢١ – مفتاح العلوم – ابو يعقوب السكاكي – ط١ المطبعة الادبية بمصر .
٢٢ – مقالات في النقد الادبي – د. محمد مصطفى هدارة – دار القلم ١٩٦٥ .